الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ ادوارد مرقص

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان هذا الاقتراح لذو شأن لا يستهان به في ما ننشده ونسعى اليه من ترقية نهضتنا اللغوية والادبية معاً . ولكنه على سمو قدره لا يخرج عن كونه مطلباً خصوصياً من مطالب هذه النهضة الواسعة النطاق . وانما يقوم الطلب العام بالبحث عن توحيد كلمة المجامع العربية اللغوية في سورية وفلسطين ومصر والعراق وغيرها بحيث تلتقي آراء اعضائها واحكامهم في كل لفظة فنية يقرونها وفي كل خطة ينتهجونها .

واذا ظلت مجامع لغتنا متنكرة وعلماؤها متخاذلين فكل مسعى يقوم به مجمع واحد وكل جهد يبذله عالم واحد لا يرجى له نجاح وان كان ولابد فهو نجاح ضئيل في دائرة ضيقة محدودة مما لا يبري علة ولا يشفي غلة .

وبديهي ان اللغة العربية التي يبلغ عدد ابنائها ستين مليوناً في أقطار متعددة يعوز نهضتها صوت عالٍ تسمعه هذه الأقطار وهذه الملايين اذا أريد ان تبقى لغة فصيحة واحدة للجميع في كل مايطرأ عليها من تشذيب وتعديل واصطلاح جديد في التعبير . واما اذا كان المراد ان نشتق من هذه اللغة عدة لغات واحدة لسورية وواحدة لفلسطين وأخرى لمصر ورابعة للعراق وخامسة للمغرب وسادسة لجزيرة العرب الاصلية فلا بأس ان نكتفي بما نحن به مكتفون الى الآن اي ان يركب كل مجمع رأسه ويتبع نفسه وحدسه في كل ما هو فاعل غير ملتفت الى مجمع آخر لاجل التفاهم . . . وهكذا لا يمضي علينا الا قرن حتى يصير البعد بين لغة قطر ولغة قطر آخر من أقطارنا أشد مما كان بين لغة مضر ولغة حمير في الجاهلية ثم تزيد شقة الخلف مع مرور السنين وكرور العصور . هذه هي الهوة الجهنمية التي نحبو اليها اليوم وقد يصبح الحبو عدواً في الغد ما دامت مجامعنا اللغوية غير متفاهمة ولا متفقة في مساعيها واحكامها وآرائها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا أعلم ما الذي يمنع مجمعنا العلمي السوري « على ما له من العلاقات الطيبة برجالات مصر وفلسطين » ان يكون هو السابق الى هذه المكرمة في البحث عن الوسائل الفعالة لايجاد صلة متينة بينه وبين سائر المجامع وفي مذاكرتها بهذه الغاية النبيلة ·

هذا هو المطلب الاساسي العام الذي أطلب الى أعضاء مجمعنا العاملين النظر فيه والاهتمام به · وكل ما عداه من المطالب الاخرى انما يحسب فرعاً يرجى حل مشكله بعدما نضمن لنفسنا هذا الاساس · ومن هذه المطالب بل أجلها النظر في قواعد العلوم العربية علماً علماً من صرف ونحو وبيان وعروض · فان فيها مايحتمل ايضاحاً ومايحتمل حذفاً وقطع طمع الطامعين فيه · وبين سماعياتها مايحتمل ترقيته الى مستوى القواعد القياسية المطردة · وقد عنّت لي في هذا البحث خواطر جمة ربما عرضتها قريباً على مجمعنا الكريم لعله يراها صالحة لفتح الباب واستقصائه ·

* * *

وصلت الى ما اقترحه أستاذنا وصديقنا « المغربي » بشأن الكلمات غير القاموسية قال :

« الصنف الاول من الكلمات غير القاموسية كلمات عربية فحة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم مثل فعل تبدّى الذي استعمله عمرو بن معدي كرب بمعنى بدا الثلاثي اي ظهر » ·

فأقول : لو لزمنا ان نقر كل ما نطق به عربي جاهلي فصيح لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور المحققين · وهذه الفلتات دوّن العلماء كثيراً منها ونبهوا على اجتناب الوقوع فيها وفي أمثالها فاجتمع لهم من ذلك ركام منثور ومنظوم يعرف بالنادر والشاذ والضعيف والغريب وبين أصحاب هذه الفلتات من هم أفصح من عمرو بن معدي كرب ومن هم في فصاحته شهرته ·

ومن ثم لا ري ان مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم فعل (تبدّى) يحسب حجة لصحته · ولا سيما أن الرجل من قبيلة زبيد وهي ليست في الفصاحة كبني بكر وتميم وقيس وسعد وبعض طي وقليلين غيرهم ممن أخذت اللغة الفصحى من أفواههم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان عليهم جل اعتماد اللغويين الاسلاميين القدماء في تدوين الاوضاع اللغوية .

وانما يكون للمسألة وجه آخر قد يجوز معه ما أجازه السيد « المغربي » في الفعل المذكور اذا تضافرت مجامعنا اللغوية على وضع قاعدة عامة مطردة لمزيدات الافعال والمعاني المختلفة المكتسبة منها حسب صيغة كل مزيد .

* * *

ثم قال الاستاذ المغربي : « الصنف الثاني كلمات عربية خالصة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم كفعل أقصّ الذي استعمله الامام الطبري بمعنى قصّ » .

فأقول : اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين كعمرو بن معدي كرب حجة لتأييد شوارد الكلام والقياس عليها . فكيف يجوز اتخاذ من جاؤوا بعدهم بقرون كالطبري وأضرابه حجةً لذلك مادامت الحالة الراهنة ازاء عيوننا هي ما نراه . ومن نقض منها حجراً واحداً كان كمن يجازف في نقض جدران وأبنية برمتها . فنفشو الفوضى من حيث أردنا النظام وتضييع اللغة من حيث أردنا توسيعها وتقريب منالها .

وانما نلجأ الى كلام المولدين وأساليبهم في شيء كثير اصطلحوا عليه بالعلوم والصناعات والاجتماع واحواله . واما الأوضاع اللغوية فنتركها لاصحاب اللغة الاصليين .

* * *

ثم قال : « الصنف الثالث كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها بمعان أخر كقولهم : هيأة المحكمة . وتشكيل المحاكم . وانعقدت الجلسة . وتعريفة الرسوم . وميزانية وكمية وكيفية » .

فأقول : هذا شأن يخالف شأن ما عرضه الاستاذ المغربي في الصنفين الاول والثاني . فالذي أرادة هنا إلباس اللفظ العربي معنىً جديداً فوق معناه الذي وضع له . الامر الذي دعت الحاجة اليه في ما مضى من العصور ولا بد ان تدعو اليه في العصر الحاضر وفي ما بعده . فان كثيراً من المعاني العلمية والفنية والشرعية والسياسية طرأت على الفاظ عربية من اول الفتح الاسلامي وزاحمت معانيها الاصلية . ولا بد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من هذه الاستعارة وهذه الاستعانة لا في لغتنا العربية فقط بل في كل لغات العالم لان الالفاظ محصورة واما المعاني فلا تقع تحت حصر وهي تزداد عصراً فعصراً حسب أطوار المعيشة . ولكنه ينبغي لنا عندما ننقل لفظاً عربياً مفرداً كان او مركباً من معناه الأصلي الى معنى جديد لم يعهده له قدماء العرب ان نحرص على وضوح العلاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والمناهج والاساليب الغالبة على لغتنا الفصحى فلا نختار ما لا نعرف له نظيراً او ما ليس له وجه مقبول في قواعدها .

* * *

ثم قال الاستاذ : « الصنف الرابع كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون مثل فعل خابره بمعنى راسله . وفعل تفرّج على الشيء . واحتار في امره . ونتزه في البستان » .

فأقول : ان الذي أراه يقارب ما يراه الاستاذ المغربي من جواز ذلك توسيعاً على نفسنا ولكن بشرط ان تجتمع الكلمة على ما أشرت اليه آنفاً من تقرير القياس في ما كثر مماعيه من معاني مزيدات الأفعال حسب صيغها .

ثم قال : « الصنف الخامس كلمات دخيلة أعجمية الأصل ومنها الثقيل على اللسان الذي يحسن بالهجره مثل اوتوموبيل ومنها الخفيف الذي يحسن استعماله مثل بالون » .

فأقول : اني ارى الاستغناء جهد الطاقة عن الكلمات الدخيلة الجديدة ثقيلة كانت على اللسان او خفيفة . فان في لغتنا اتساعاً كافياً وطواعية عجيبة يغنياننا عن الدخيل الاعجمي . فاذا تعذر علينا او تعسر الشيء اليسير من ذلك اي ما لا يزيد عن عشر ما نحتاج اليه فلا بأس ان ننقله . والأحسن اذ ذاك ان لا ننقله الا معرباً اي مهذباً لفظه حسب مناحي العربية وأوزانها . ولدينا لقضاء هذه اللبانة الجوهرية طريقان امينتان رحبتان طريق الاشتقاق وطريق المجاز . وهناك طريق ثالثة قد نقار بها نفعاً واتساعاً اذا قررنا لها تمهيداً وتنظيماً . واريد بها طريق النحت . وقد يكون النحت من لفظة جامدة . وقد يكون من عدة كلمات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشاهد العياني على اضطلاع لغتنا بهذه الحاجة العصرية التي تزداد شعوراً بمسيسها يوماً بعد يوم وجود بضع مئين من الالفاظ الفنية والاصطلاحية في نهضتنا الحديثة الحاضرة ولم تكن معروفة قبلها ومن امثلتها : جريدة . مجلة . اضبارة . كراس . بريد . برق . هاتف . حاكي . درك . كتيبة . ثلة . ثكنة . عبقري . نابض . حكومة مطلقة . حكومة مقيدة . دستور . محام . منضدة . مقصف . بهو . ردهة . مجهر . مكبرة . جراثيم . حسر . أُوام . كباد . بيئة . منطاد . طيارة . ازمة . مصرف . حوالة . عميل . مضاربة . معزف . سيارة . دراجة . حافلة . قطار . قاطرة . باخرة . مجلس الاعيان . مجلس النواب . الخ الخ فان هذه الالفاظ الاصطلاحية على حداثة عهدها قد صقلتها الالسن فذاع امرها وشاع بين الخاصة وقسم كبير من العامة فأصبحنا نستغني بها عن مرادفاتها الاعجمية كلما اردنا الاستغناء . هذا مع انه لم تثمرها همة مجمع علمي موحد او مجامع علمية متناهمة متحالفة . بل اثمرتها عرضاً قرائح بعض علمائنا وادبائنا على غير تفرغ منهم لشأنها واختصاص بها . فلما ذا لا نوفق الى اضعاف هذه الالفاظ مما لم نزل محتاجين اليه في اصطلاحات علوم وفنون وصناعات وادارة وسياسة وجندية ومظاهر اجتماع وعمران اذا تضافرت الاقلام والاذهان القديرة الكثيرة على ذلك وتفرغت له زمناً كافياً واشتغلت به تحت حماية ورقابة مجمع لغوي عربي عام او مجامع عربية اقليمية متحالفة تحالفاً يجعلها كالمجمع الواحد العام .

ومما يغيظ ويضحك مذهب قوم منا يرون قبول كل لفظة اجنبية في معنى مستحدث غير واجمين ولا خاجلين ولا مترددين . وحجتهم ان حياة اللغة تقتضي هذا التسامح على نحو ما يفعل باللغات الافرنجية واللغة التركية . وان العربية نفسها تحوي معجماتها الشيء الكثير من الدخيل الذي اصله يوناني او فارسي او سرياني او غير ذلك . وهي حجة زائفة لدى كل خبير يتأمل قليلاً في الامر . فكل ما نقلته الينا معجمات اللغة من الدخيل الاعجمي لا يكاد يزيد على اربعمئة لفظة وجدت تدريجاً في مهلة تسعة قرون اي من القرن الثاني للهجرة النبوية الى القرن العاشر . والخطب في ذلك يسير والخطر بعيد على انكر وجه اللغة بقبولها اربعمئة لفظة في مدة تسعمئة سنة ولكن الخطب كل الخطب والخطر كل الخطر عليها اذا فتحنا ابوابها لكل لفظ اعجمي احدثته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المخترعات والمكتشفات والمصطلحات المختلفة مما قد يدس في احشائها اربعة آلاف لفظة اعجمية في كل تسعة ايام لا اقل بعشرة الفاظ في كل تسعة قرون . فانظر ايها القاري المنصف الى البون الشاسع بين الامرين والى ضلال من يقيس احدهما على الآخر .

ولا يغرب عن الاذهان ان للغتنا العربية المضرية مزية عجيبة سامية القدر لا نراها لغيرها من اللغات الحية اليوم . وهي محافظتها على جوهرها وعلى معظم اوضاعها واساليبها منذ اول نشأتها الى هذا العصر بحيث يمكن المتوسط العلم والفهم من عرب ومستعربي هذه الايام ان يقرأ ويفهم اقوال العرب القدماء منذ خمسة عشر قرناً كما يفهم اقوال معاصريه في كتبهم وصحفهم وسائر منشوراتهم .

وليس الامر كذلك في غيرها من سائر اللغات . فهذه اللغة الفرنسوية الحديثة مثلاً لا يفهم متعلمها الفرنسوية القديمة التي كانت منذ ٢٠٠ او ٣٠٠ سنة فقط الا اذا كان دارساً لها . وهكذا يقال في اليونانية القديمة واليونانية الحديثة وفي غيرها . فاذا كان يطيب لابناء العرب ان تتبدل لغتهم وتتولد منها لغة جديدة في كل قرنين او بضعة قرون . اذا كان يطيب للمسلمين منهم وهم ثمانية اعشار او تسعة اعشار مجموعهم ان لا تفهم ذريتهم كلام القرآن الكريم وكتب الاحاديث النبوية والتفسير والشرع فلهم ان يقدموا على حشو لغتهم بل على تمزيق احشائها بغارات الالفاظ والاساليب الاعجمية بغير ميزان ولا حساب ... ضاربين صفحاً عن استطاعة اللغة اغناءهم عن هذا التطفل الشائن وهذا الخلط المبكي المضحك .

وهل ينتظر العجز من لغة حوت في بطون اسفارها علوم وفنون وصناعات وحضارات الامم القديمة ولاسيما امتي اليونان والفرس . هذا فضلاً عن الزيادات والاستدراكات الكثيرة التي ادخلها اهلها على البحر الزاخر من تلك المنقولات وفضلاً عما لم يزل كامناً في طبيعة اللغة من قوة وسعة ورقة ومرونة عما بالها من كثرة الاوضاع وابواب المجاز والاشتقاق والنحت مما تقدمت الاشارة اليه .

* * *

ثم قال الاستاذ : « الصنف السادس اساليب وتراكيب اعجمية مثل قولهم : ذر الرماد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في العيون . عاش ستة عشر ربيعاً . وضع المسألة على بساط البحث . ساد الامن في البلاد . الخ »

فاقول : هذا الصنف مرجعه كله الى المجاز مفرداً ومركباً وتشبيهاً واستعارةً وكنايةً . وباب المجاز لاحرج علينا في التوسع فيه بعد المحافظة على شروطه اي وضوح وجهه وخلوه من التكلف وملابسته لمعيشة وعادات واذواق الناطقين به . ومن ثم كان كثير من المجازات لافرنجية لانكرها العربية وذوق العرب . وقسم آخر منها لاينطبق على هذه الشروط فلابد من تركه مستغنين عنه بالتعبير الحقيقي او بمجاز عربي يقوم مقامه . والامثلة التي اوردها الاستاذ المغربي هي من القسم المقبول عندنا على ماارى ويمكن العثور على كثير مثلها . ومن امثلة المجاز الاعجمي الممقوت عندنا قولهم . طلب يد فلانة . ونحن نقول خطبها الى اهلها . وقولهم قذف آخر خرطوشة لديه . والعرب تقول في هذا المقام رمى آخر سهم من كنانته . — وضحك ضحكة صفراء . ونحن نقول تكلف الضحك .

على ان معظم ما لا يلائمنا من تعابير القوم المجازية هو ما كان مبنياً على اصطلاح خصوصي عندهم او فيه اشارة الى حادث من حوادث بلادهم . فليتنبه كتابنا الى ذلك ولا سيما المترجمون بينهم .

* * *

ثم قال : الصنف السابع كلمات لا يستعملها احد من الفصحاء فهي عامية محضة . وقد حظر الاستاذ استعمالها . ولا اظن اديباً عربياً يخالفه في ذلك .

وفقنا الله جميعاً الى خدمة لغتنا الفصحى الشريفة بكشف كنوزها وصوغ ابريزها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net